

وهذا فيه الاول من حيث أنهم لم يتمنوا هلاك من يجيرهم من العذاب بارشاده والسياق ادعى للاول وثالثها ان المعنى ان اهلكنا الله تعالى في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وان رحمتنا بالايمن فن يجير من لا إيمان له وعلى هذا الجواب متمدد أيضا والهلاك فيه محمول على لجازدون الحقيقة كما في سابقه والغرض الجزم بانهم لا يجير لهم وان حالهم اذا ترددت بين الهلاك بالذنب والرحمة بالايمن وهم مؤمنون فماذا يكون حال من لا إيمان له وهذا فيه بمد (قُلْ) أي لهم جوابا عن تمنيتهم ما لا يجديهم بل يريدون معرضا بسوء ما هم عليه (هُوَ الرَّحْمَنُ) أي الله الرحمن (آمَنَّا بِهِ) أي فيجبرنا برحمته عز وجل من عذاب الآخرة ولم نكفر مثلكم حتى لانجار البتة ولما جعل الكفر سبب الاساءة في الآية الاولى جعل الايمان سبب الاجارة في هذه لئتم التقابل ويقع التعريض موقعه ولم يقدم مفعول آمنا لانه لو قيل به آمنا كان ذهابا الى التعريض بايمانهم بالاصنام وكان خروجا عما سبق له الكلام وحسن التقديم في قوله تعالى (وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا) لاقتضاء التعريض بهم في أمر التوكل ذلك أي وعليه توكلنا ونعم الوكيل فنصرنا لاعلى العدد والمدد كما أتم عليه والحاصل انه لما ذكر فيما قبل الاهلاك والرحمة وفسر برحمة الدنيا والآخرة كدهنا بمصوفا لهم في الدارين لايمانهم وتوكلهم عليه تعالى خاصة وفي ذلك تحقيق عدم حصولها للكافرين لانتفاء الموجبين ثم في الآية خاتمة على منوال السابقة وتبين ان أحسن العمل الايمان والتوكل على الله تعالى وحده وهو حقيقة التقوى وقوله تعالى (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أي في الدارين وعيد بمد تلخيص الموجب لكنه أخرج مخرج الكلام المنصف أي من هو منا ومنكم في الخ وقرأ الكسائي فيعلمون بياه الغيبة نظراً الى قوله تعالى فن يجير الكافرين وقوله سبحانه (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أي أخبروني (إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) أي غائرا ذاهبا في الارض بالكلية وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به للمبالغة أو مؤل باسم الفاعل وأياما كان فليس المراد بالماء ماء معينا وان كانت الآية كما روى ابن المنذر والفاكهي عن ابن الكلبي نازلة في بئر زمزم وبئر ميمون بن الحضرمي (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) أي جار أو ظاهر سهل المأخذ لوصل الايدي اليه وهو فيل من ممن أو مفعول من عين وعيد في الدنيا خاصة واردف الوعيد السابق به تنديها بالادنى على الاعلى وانكم اذا لم تعبدوه عز وجل للحياة الباقية فاعبدوه للفاية وتليت هذه الآية عند بعض المستهزئين فلما سمع فن يأتكم الخ قال تجي به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينه نعوذ بالله تعالى من الجراءة على الله جل جلاله وآياته وتفسير الآيات على هذا الطرز هو ما اختاره بعض الأئمة وهو أبعد مغزى من غيره والله تعالى أعلم بامرار كلامه

## (سورة ن)

هي من أوائل ما نزل من القرآن بمسكة فقد نزلت على ماروي عن ابن عباس اقرأ باسم ربك ثم هذه ثم المزمع ثم المدثر وفي البحر أنها مسكية بلا خلاف فيها بين أهل التأويل وفي الاتقان استثنى منها أنا بلونا هم الى يعملون ومن فاصبر الى الصالحين فإنه مدني حكاه السخاوي وفي مجال القراء وآياتها ثنتان وخسون آية بالاجماع ومناسبتها لسورة الملك على ما قيل من جهة ختم تلك بالوعيد وافتتاح هذه به وقال الجلال السيوطي في ذلك إنه تعالى لما ذكر في آخر الملك التهديد بتقوير الماء استظهر عليه في هذه باذهب ثم اصحاب البستان في لينة طائف طاف عليهم وهم نائمون فاصبحوا ولم يجدوا له أثر حتى ظنوا أنهم ضلوا الطريق واذا كان هذا في الثمار وهي اجرام كثيفة فالما الذي هو لطيف أقرب الى الاذهاب ولهذا قال

سبحانه هنا وهم نائمون فاصبحت كالصريم وقال جل وعلا هناك ان اصبح ماؤم غورا اشارة الى انه يسرى عليه في ليلة كما امرى على الثمر في ليلة انتهى ولا يخلو عن حسن وقال أبو حيان فيه انه ذكر فيما قبل اشياء من أحوال السعداء والاشقياء وذكر قدرته الباهرة وعلمه تعالى الواسع وانه عز وجل لوشاه لخسف بهم الارض أو لأرسل عليهم حاصبا وكان ما أخبر به سبحانه هو ما أوحى به الى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فتلاه عليه الصلاة والسلام وكان الكفار ينسبون في ذلك مرة الى الشعر ومرة الى السحر ومرة الى الجنون فبدأ جل شأنه هذه السورة الكريمة ببراهته صلى الله تعالى عليه وسلم مما كانوا ينسبون اليه من الجنون وتعظيم أجره على صبره على أذاهم وبالثناء على خلقه فقال عز من قائل

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) بالسكون على الوقف وقرأ الاكثرون بسكون النون وادغامها في واو ( والقلم )

بغنة ادبعض وبدونها عند آخرين وقرى بكسر النون وقرأ ابن عباس وابن أبي اسحق وعيسى بخلاف عنه بفتحها وكل لالتقاء الساكنين وجوز أن يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكرو ونحوه لافتحوا امتناع الصرف للتعريف والتأنيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما مجرد مسرودا على نطق التمديد للتحدي على ما اشتهر وبين في موضه أو اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور أو مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف فلو او في قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه على الشائع واختار السامان ن من المتشابه وغير واحد من الخلف انه هنا من أسماء الحروف وقالوا ويؤيد ذلك انه لو كان اسم جنس أو علما لا عرب منونا أو ممنوعا من الصرف ولكتب كما يتلفظ به وكون كتابته كما ترى لنية الوقف واجراء الوصل مجراه خلاف الاصل وكون خط المصحف لا يقاس مسلم الا الاصل اجراؤه على القياس ما أمكن وقيل هو اسم حوت عليه الارض يقال له اليموت بفتح الياء امتثالة التحية وسكون الهاء ففي حديث رواء الضياء في المختار والحاكم وصححه وجمع عن ابن عباس خالق الله تعالى النون فبسطات الارض عليه فاضطرب النون فادت الارض فثبتت بالحبال ثم قرأ ن والقلم الخ وروى ذلك عن مجاهد وروى عن ابن عباس أيضا والحسن وقادة والضحاك انه اسم للدواة وأنكر الزمخشري ورود النون بمعنى الدواة في اللغة أو في الاستعمال المعتد به وقال ابن عطية يحتمل أن يكون لغة لبعض العرب أو لفظة أعجمية عربية وأنشد قول الشاعر اذا ما الشرق برح بي الهمم ثم أفتت النون بالدمع السجوم

والارلون منهم من فسر القلم بالذي خط في لوح المحفوظ ما هو كائن الى يوم القيامة ومنهم من فسره بقلم الملائكة للكرام السكاكين وال فيه على التفسيرين للمهد والآخرون منهم من فسره بالجنس على ان التعريف فيه جنسى ومنهم وهم قليل من فسره بما تقدم أيضا لكن الظاهر من كلامهم ان الدواة ليست عبارة عن الدواة المعروفة بل هي دواة خلقت يوم خلق ذلك القلم وعن معاوية بن قرة يرفعه ان ن لوح من نور والقلم قلم من نور يجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وعن جعفر الصادق انه نهر من أنهار الجنة وفي البحر له لا يصح شيء من ذلك أي من جميع ما ذكر في ن ما عدا كونه اسما من الحروف وكانه ان كان مطلما على الروايات التي ذكرناها لم يعتبر تصحيح الحاكم فيها روى أولا عن ابن عباس ولا كون أحد رواياته الضياء في المختارة التي هي في الاعتبار قرينة من الصحاح ولا كثرة زاوية عنه وهو الذي يطلب على انظر لكثرة الاختلاف فيها روى عنه في تعيين المراد به حتى انه روى عنه انه آخر حرف من حروف الرحمن وان هذا الاسم الجليل فرق في الر وح م ون ولا يخفى انه ان أريد الحوت أو نهر في الجنة يصير الكلام من باب كم الخليفة وأنت بادنجانة وأما ان أريد الدواة فالتكرار عن ذلك أشد الابهاء على انه كما سمعت

عن الزمخشري لغة لم تثبت والرد عليه إنما يتأتى بإثبات ذلك عن الثقات وأنه به وذكر صاحب القاموس لا ينتهض حجة على أنه معنى لغوي وفي صحة الروايات كلام والبيت الذي انشده ابن عطية لم يثبت عربياً وكونه بمعنى الحوت اطلق على الدواة مجازاً بملافة المشابهة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سواداً من النقس يكتب به لا يخفى ما فيه من السهاجة فان ذلك البعض لم يشتهر حتى يصبح جملة مشبهاً به مع انه لا دلالة للمتكسر على ذلك الصنف بعينه وكونه بمعنى الحرف مجازاً عنها أدهى وأمر كذا قيل ولابحث في البعض مجال وللقصاص هذا الفصل روايات لا يعول عليها ولا ينبغي الاصفاء اليها ثم ان استحقاق القلم الاعظام بالاقسام به اذا أريد به قلم اللوح الذي جاء في الاخبار انه أول شيء خلقه الله تعالى أو قلم الكرام السكاكين ظاهر وأما استحقاق ما في أيدي الناس اذا أريد به الجنس لذلك فلكثرة منافعه ولو لم يكن له منزبة سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلاً موجباً لتظيمه والضمير في قوله سبحانه ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي يكتبون اعمالهم مراداً به قلم اللوح وعبر عنه بضمير الجمع تعظيماً له أو له مراداً به جنس ما به الخط فضمير الجمع لتعدده لكنه ليس بكتاب حقيقة بل هو آلة للكتاب فالاسناد اليه اسناد الى الآلة مجازاً والتميز عنه بضمير العقلاء لقيامه مقامهم وجملة فعلاً أو للكتابة أو الحفظ المفهومين من القلم أولهم باعتبار أنه أريد بالقلم أصحابه تجوزاً أو بتقدير مضاف معه ولا يخفى ما هو الا وجه من ذلك وأما كونه لما وهي بمعنى من فتكلف بارد والظاهر فيها أنها اما موصولة أي والذي يسطرونه أو مصدرية أي وسطروهم ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جواب القسم والباء الثانية مزيدة لتأكيد النفي ومجنون خبر ما والباء الاولى للملابسة والجار والمجرور في موضع الحال من الضمير في الجبر والعامل فيها معنى النفي والمعنى انتفي عنك الجنون في حال كونك ملتبساً بنعمة ربك أي منعماً عليك بما أنعم من حصافة الرأي والنبوة والشهامة واختاره ناصر الدين وقريب منه جعل الباء للسببية والجار والمجرور متعلقاً بالنفي كالظرف النفي كأنه قيل انتفي عنك الجنون بسبب نعمة ربك عليك وجوز أن تكون الباء للملابسة في موضع الحال والعامل مجنون وناؤه لا تمنع العمل لأمها مزيدة وتعقبه ناصر الدين بان فيه نظراً من حيث المعنى ووجه بأن محصله على هذا التقدير أنه انتفي عنك الجنون وقت التباسك بنعمة ربك ولا يفهم منه انتفاء مطلق الجنون عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وهل المراد الا هذا وقيل عليه لا يخفى انه وارد على ما اختاره هو أيضاً أي وذلك لان المعنى حينئذ انتفي عنك ملتبساً بنعمة ربك الجنون ولا يفهم منه انتفاؤه عنه عليه الصلاة والسلام في جميع الاوقات وهو المراد واحيب بأن تلك الحالة لازمة له صلى الله تعالى عليه وسلم غير مفككة عنه ففيه عنه فيها مستلزم لنفيه عنه دائماً وسائر الحالات وتعقب بأن هذا متأد على كلا التقديرين لا اختصاص له باحدهما دون الآخر وأنت خير بانه فرق بينهما اذ يصير المعنى على تقدير كون العامل مجنون كما أشير اليه انه انتفي عنك الجنون اواقع عليك حالة الالتباس المذكور وهذا يدل على إمكان وقوعه في تلك الحالة بل على تحققه أيضاً وهو معنى لاغ اذ كيف يتصور وجود الجنون ووقوعه وقت التباسه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنعمة ومن جعلتها الحصافة ولا يرد هذا على التقدير المختار اذ الانتفاء المفهوم حينئذ لا يكون وأرداً على الجنون المقيد بما ذكر وهو وان كان مقيداً فيه أيضاً لضربه لكون قيده لازماً لذات المنفي عنه كما عرفت هذا وقيل اذا حمل الباء على السببية واعتبر الظرف لغوا يظهر عدم جواز تعلقه بما بعده من حيث المعنى بظهور نار القرى ليلا على علم \* ولهم في الجملة الحالية والحال اذا وقعت بعد النفي كلام ذكره الحفاجي وحقق انه حينئذ إنما يلزم انتفاء مقارنة الحال لدى الحال لانها نفسها فتدبر ولا تغفل وجوز كون نعمة ربك قسماً متوسطاً في الكلام لتأكيد من غير تقدير جواب

أو يقدر له جواب يدل عليه الكلام المذكور واستظهر هذا الوجه أبو حيان والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه صلى الله تعالى عليه وسلم والايدان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه في العلو الى غاية لا غاية وراهها والمراد تنزيهه صلى الله تعالى عليه وسلم عما كانوا ينسبونونه اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الجنون حسداً وعداوة ومكابرة فحاصل الكلام أنت منزله عما يقولون ﴿ وَإِنَّ لَكَ ﴾ بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك أعباء الرسالة ﴿لأجراً﴾ لتوايها عظيماً لا يقدره ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أى مقطوع مع عظمه أو غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا واسطة أو من جهته تعالى لانك حبيب الله تعالى وهو عز وجل أكرم الأكرمين ومن شيمة الأكارم أن لا تمنوا بانعامهم لاسيما اذا كان على أحببهم كما قال

سأشكر عمرا ان تراخت مني • أياي لم تمنن وان هي جات

﴿وَإِنَّكَ أَعْلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتل من جهتهم ما لا يحتمل أمثالك من أولى العزم وفي حديث مسلم وأبي داود والامام أحمد والدارمي وابن ماجه والنسائي عن سعد بن هشام قال قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت ألسنت تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق نبي الله كان القرآن وأرادت بذلك على ما قيل ان ما فيه من المكارم كله كان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما فيه من الزجر عن سفاسف الاخلاق كان منزهاً به عليه الصلاة والسلام لانه المقصود بالخطاب بالقصد الاول كذلك لثبته به فؤادك وربما يرجع الى هذا قولها كما في رواية ابن المنذر وغيره عن أبي الدرداء انه سأها عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت كان خلقه القرآن رضى لرضاه ويسخط لسخطه وقال العارف بالله تعالى المرصفي أرادت بقولها كان خلقه القرآن تعاقبه باخلاق الله تعالى لكنها لم تصرح به نادياً منها وفي الكشف أنه أدمج في هذه الجملة انه صلى الله تعالى عليه سلم متخايق باخلاق الله عز وجل بقوله سبحانه عظيم وزعم بعضهم أن في الآية رمزا الى أن الاخلاق الحسنة مما لا تجامع الجنون وانه كلما كان الانسان أحسن أخلاقا كان أبعد عن الجنون ويلزم من ذلك أن سوء الاخلاق قريب من الجنون ﴿فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ أى المجنون كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وابن المنذر عن ابن جرير وعبد بن حميد عن مجاهد وأطلق على المجنون لانه فتن أى عن بالجنون وقيل لان العرب يزعمون أن الجنون من تخييل الجن وهم الفتن للفتنك منهم والباء مزيدة في المبتدأ وجوز ذلك سيويه أو الفتنه فالفتنون مصدر كالمقول والمجود أى الجنون كما أخرجه عبد بن حميد عن الحسن وأبي الجوزاء وهو بناء على أن المصدر يكون على وزن المفعول كما جوزوه بعضهم والباء عليه للملابسة أو باى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تمريض بأبى جهل والوليد بن المغيرة واضراهما والبساء على هذا بمعنى في وقدر بأى الفريقين منكم دفما لما قيل من ان الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجماعة قريش ولا يصح أن يقال لجماعة وواحد في أيكم زيد وأيد الاعتراض بأن قوله تعالى فستبصر ويصبرون خطاب له عليه الصلاة والسلام خاصة وجواب التأيد أن الخطاب بظاهره خص برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليجرى الكلام على نهج السوابق ولا يتأخر لكنه ليس كالسوابق في الاختصاص حقيقة لدخول الأمة فيه أيضا فيصح تقدير بأى الفريقين وادعى صاحب الكشف ان هذا أوجه الأوجه لاقدته التمريض وسلامته عن استعمال النادر يبنى زيادة الباء في المبتدأ وكون المصدر على زنة المفعول واليه ذهب الفراء ويؤيده قراءة ابن أبي عمير في أيكم وأيا ما كان فالظاهر ان بأيكم المفتون معمول لما قبله على سبيل التنازع والمراد فستعلم

ويعلمون ذلك يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وروى ذلك عن ابن عباس وقيل فستبصر ويصرون في الدنيا بظهور عاقبة الأمر بقلبية الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم أذلة صاغرين ويشمل هذا ما كان يوم بدر وعن مقاتل ان ذلك وعيد بمذاب يوم بدر وقال أبو عثمان المازني ان الكلام قد تم عند قوله تعالى ويصرون ثم استأنف قوله سبحانه بأيكم المفتون على انه استفهام يراد به الترداد بين أمرين معلوم نفي الحكم عن أحدهما وتعيين وجوده للآخر وهو كما ترى ﴿ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِنِينَ ﴾ استئناف لبيان ما قبله وتأكيده لما تضمنه من الوعد والوعيد أي هو سبحانه أعلم بمن ضل عن سبيله المؤدى الى سعادة الدارين وهام في تبه الضلال متوجها الى ما يقتضيه من الشقاوة الابدية ومزيد النكال وهذا هو الجنون الذي لا يفرق بين النفع والضرر بل بحسب الضرر نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيجرحه وهو عز وجل أعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وم العقلاء المراحيح فيجزى كلامن الفريقين حسب ما يستحقه من العقاب والثواب وفي الكشف ان ربك هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون أو يكون وعيدا ووعدا وأنه سبحانه أعلم بجزاء الفريقين قال في الكشف هو على الاول تذييل مؤكدا لما رمز اليه في السابق من أن المفتون من قرفك به جار على أسلوب المؤكد في عدم التصريح ولكن على وجه أوضح فان قوله تعالى بأيكم المفتون لانعين فيه بوجه وهذا بدل هو أعلم بالجنون وبالعاقل يدل على أن الجنون بهذا الاعتبار لا بما توهموه وثبت لهم صرف الضلال في عين هذا الزعم وعلى الثاني هو تذييل أيضا ولكن على سبيل التصريح لان بمن ضل أقوم مقام بهم وبالمهتدين أقوم مقام بكم ولعل ما عثرناه أملا بالفائدة وكان تقديم الوعيد ليصل بما أشعر به أولا والتعير في جانب الضلال بالفعل للإيماء بأنه خلاف ما تقتضيه الفطرة وزيادة هو أعلم لزيادة التقرير مع الايدان باختلاف الجزاء والفاء في قوله تعالى ﴿ فَلَا تُطِيعِ الْمُكذِّبِينَ ﴾ لترتيب النهي على ما ينبيه عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله تعالى عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهيج والهاب للتصميم على معاصاتهم أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك وجوز أن يكون نية عن مدهاتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم استجلابا لقلوبهم لاعن طاعتهم حقيقة وبنية عن قوله تعالى ﴿ وَذُوا لَوْ تَذَهِنُ ﴾ لانه تليل للنهي أو للانتهاه وإنما عبر عنها بالطاعة للعبارة في التنفير أي أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور ﴿ فَيَذَهِنُونَ ﴾ أي فهم يذهنون حينئذ أو فهم الآن يذهنون طعما في ادهانك فالفاء تاسيية داخله على جملة مسببة عما قبلها وقدر المبتدأ لمكان رفع بالفعل والفرق بين الوجهين أن المنى على أنهم تمنوا لو تذهن فترتب مدهاتهم على مدهتك فيه ترتب احدى المدهاتين على الاخرى في الخارج ولو فيه غير مصدرية وعلى الثاني هي مصدرية والترتب ذهني على ودادتهم وتمنيهم وجوز أن تكون الفاء لمطف يذهنون على تذهن على انه داخل معه في حيز لو تمنى مثله والمعنى ودوا لو يذهنون عقيب ادهانك وما تقدم أبعد عن القيل والقال وأيا ما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو اظهار الملاينة واضمار خلافها واما في جانبه عليه الصلاة والسلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط وأما اضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وإنما اعتبره بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام وفي بعض المصاحف كما قال هرون فيدهنوا بدون نون الرفع فليل هو منصوب في جواب التمني المفهوم من ودوا وقيل انه عطف على تذهن بنسب على أن لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسب منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا

كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا ولعل هذا مراد من قال أنه عطف على توهم أن وجمهور النحاة على أن لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أى ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك **(وَلَا تَطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ)** كثير الحلف في الحق والباطل وكفى بهذا مزجراً لمن اعتاد الحلف لانه جعل فائحة الطالب وأساس الباقي وهو يدل على عدم استشعار عظمة الله عز وجل وهو أم كل شر عقداً وعملاً وذكر بعضهم ان كثرة الحلف مذمومة ولو في الحق لما فيها من الجراءة على اسمه جل شأنه وهذا الهى للتبييض والالباب أيضا أى دم على ما أنت عليه من عدم طاعة كل حلاف **(مُهَيِّنٍ)** لحقير الرأى والتدبير وقال الرماني المهين الوضع لاكثره من القبيح من المهانة وهي القلة وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن قتادة انه قال هو المكثار في الشر وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس أنه الكذاب **(هَمَّازٍ)** عياب طمان قال أبو حيان هو من الهمز وأصله في اللغة الضرب طمناً باليد او بالعصا ونحوها ثم استعير للذى ينال بلسانه قال منذر بن سعيد وبعبينه وإشارته **(مَشَّاهُ يَنْمِيْمٍ)** يقال للحدث من قوم الى قوم على وجه الافساد بينهم فان النميم والنميمة مصدران بمعنى السعاية والافساد وقيل النميم جمع نميمة لا يريدون به الجنس واصل النميمة الهمس والحركة الخفيفة ومنه اسكت الله تعالى نامته اى ما ينم عليه من حركته **(مَنْعٍ لِلْخَيْرِ)** أى بخيل عمسك من منع معروفه عنه اذا أمسك فاللام للتقوية والخير على ما قيل المال أو مناع الناس الخير وهو الاسلام من منعت زيدا من الكفر اذا حماه على الكف فذكر المنوع منه كأنه قيل مناع من الخير دون المنوع وهو الناس عكس وجه الاول والتعميم هنا لك وعدم ذكر المنوع منه أوقع **(مُعْتَدٍ)** مجاوز في الظلم حده **(أَثِيمٍ)** كثير الآثام وهي الافعال البهثة عن الثواب والمراد بها المعاصى والذنوب **(عُتْلٍ)** قال ابن عباس الشديد الفاتك وقال الكلبي الشديد الحصومة بالباطل وقال معمر وقتادة الفاحش اللثيم وقيل هو الذى يعتل الناس أى يجرم الى حبس أو عذاب بعنف وغلظة ويقال عتبه بالنون كما يقال عتله باللام كما قال ابن السكيت وقرأ الحسن عدل بالرفع على النعم **(بَعْدَ ذَلِكَ)** أى المذكور من مثالبه وقبائحه وبعد هنا كنم الدالة على التفاوت الرتبى فتدل على أن ما بعد أعظم في القباحة وفي الكشف أشمر كلام الزمخشري أنه متعلق بعقل فلزم تباينه من الصفات السابقة وتباين ما بعده أيضا لانه في سلكه **(زَيْمٍ)** دعى ملحق بقوم ليس منهم كما قال ابن عباس والمراد به ولد الزنا كما جاء بهذا اللفظ عنه رضى الله تعالى عنه وأنشد الحسان

زيم تداعته الرجال زيادة **ب** كما زيد في عرض الاديم الاكارع

وكذا جاء عن عكرمة وأنشد

زيم ليس يعرف من أبوه **ب** بغي الام ذو حسب لثيم

من الزئمة بفنحات وهي ما يتدلى من الجلد في حلق المزمز والفلقة من أذنه تشق فتترك معلقة وانما كان هذا أشد المعايب لان الغالب أن الطفلة اذا خبت خبت الناشء منها ومن ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم فرخ الزنا أى ولده لا يدخل الجنة فهو محمول على الغالب فانه في الغالب لحبائمه نطفته يكون خبيثا لا خير فيه اصلا فلا يعمل عملا يدخل به الجنة وقال بعض الاجلة هذا خارج مخرج التهديد والتمريض بالزاني وحمل على أنه لا يدخل الجنة مع السابقين لحديث الدارمي عن عبد الله بن عمر مرفوعا لا يدخل الجنة عاق ولا ولد زنية ولا منان ولا مدمن خمر فانه سلك في قرن الماق والمنان ومدمن الخمر ولا ارنباب أنهم عند أهل السنة ليسوا من زمرة من لا يدخل الجنة أبدا وقيل المراد انه لا يدخل الجنة بمثل أبويه اذا مات صغيرا بل يدخلها بمحض فضل الله تعالى

ورحمته سبحانه كأطفال الكفار عند الجمهور وروى ابن جبير عن ابن عباس أن الزنيم هو الذي يعرف بالشعر كما تعرف الشاة بالزئمة وفي رواية ابن أبي حاتم عنه هو الرجل يمر على القوم فيقولون رجل سوء والمآل واحد وعنه أيضا أنه المعروف بالابنة ولا يخفى أن المسأبون معدن الشرور بل من لم يصل في ذلك الأمر الشنيع إلى تلك المرتبة كذلك في الأغلب ولا حاجة إلى كثرة الاستشهاد في هذا الباب وفي قول الشاعر الأكناف وهو

ولكم بذلت لك المودة ناصحا \* فغدوت تسلك في الطريق الأعوج

ولكم رجوتك للجميل وفعله \* يوما فساداتي النهى لا ترج

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عنه أنه قال تزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا تطع كل خلاف الخ فلم يعرف حتى تزل عليه الصلاة والسلام بعد ذلك زينيم فعرفناه له زئمة في عنقه كزئمة الشاة واستشكل هذا بان الزنيم عليه ليس صفة ذم فضلا عن كونه أعظم فيه من الصفات التي قبل ذلك على ما يفيد به بعد ذلك ولا يكاد يحسن تعليل النهى به على أن من المعلوم أن ليس المراد بالموصوف بهذه الصفات شخصا بعينه لمكان كل ويحمل مناجاة في الروايات من أنه الوليد بن المغيرة المخزومي وكان دعيا في قريش ليس من سنخهم ادناه أبوه بعد ثمانى عشرة من مولده أو الحكم طريد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو الأخنس ابن سريق وكان أصله من ثقيف وعداده في زهرة أو الأسود بن عبد يغوث أو أبو جهل على بيان سبب النزول وقيل في ذلك أن المراد ذمه بفتح الحلق بعد ذمه بما تقدم وهو كما ترى فتأمل فلعلك تظفر بما يريح البال ويشرح الإشكال وقوله تعالى ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ بتقدير لام التعليل وهو متعلق بقوله سبحانه لا تطع أى لا تطع من هذه مثاله لأن كان متمولا متقويا بالبنيين وقوله سبحانه ﴿إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولَى﴾ استئناف جار مجرى التعليل للنهى وجوز أن يكون لأن متعلقا بنحو كذب ويدل عليه الجملة الشرطية ويقدر مقدما دفعا لتوهم الحصر كأنه قيل كذب لأن كان الخ والمراد انه بطر نعمة الله تعالى ولم يعرف حقها ولم يجوز تعلقه بقال المذكور بعد لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيها قبله ولعل من يقول باطراد التوسع في الظرف يجوز ذلك وكذا من يجعل اذا هنا ظرفية وقال أبو على الفارسي يجوز تعلقه بعقل وان كان قد وصف وتعقبه أبو حيان بأنه قول كوفي ولا يجوز ذلك عند البصريين وقيل متعلق بزئيم ويحسن ذلك اذا فسر بفتح الالف وقرأ الحسن وابن أبى اسحق وأبو جعفر وأبو بكر وحزرة وابن عامر أن كان على الاستفهام وحقق الهمزتين حمزة وسهل الثانية باقبيهم على ما في البحر وقال بعض قرأ أبو بكر وحمزة بهمزتين وابن عامر بهمزة ومدة والمعنى أ كذب بها لأن كان ذا مال أو أطيعه لأن كان الخ وقرأ نافع في رواية يزيدى عنه ان كان بالكسر على أن شرط النفي في النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهى عن قتل الأولاد بمعنى النهى في غير ذلك يعلم بالطريق الأولى فيثبت بدلالة النص والشرط والعلة في مثله مما لا مفهوم له أو على أن الشرط للمخاطب وحاصل المعنى لا تطع كل خلاف الخ شارطا يساره لأن اطاعة الكافر لغناء بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة وفيه تنزيل المخاطب منزلة من شرط ذلك وحققه زيادة للإلهاب والثبات وتمريضا بمن يحسب النفي مكرومة والظاهر أن الجملة الشرطية بعد استئناف وقيل هذا مما اجتمع فيه شرطان وليس من الشروط المترتبة الوقوع فالتأخر لفظا هو المتقدم والمتقدم لفظا هو شرط في الثاني فهو كقوله

فان عثرت بعدها ان وألت \* نفسى من هاتا فقول لا لاما

وقرأ الحسن أنذا على الاستفهام وهو استفهام تفرغ وتوبيخ على قوله أساطير الأولين ﴿سَنَسِمُهُ﴾ سنجد له سمة وعلامة ﴿على الخراطوم﴾ أى على الأنف وهو من باب اطلاق مشفر على شفة غليظة لانسان كاستشيرال

ان شاء الله تعالى وعبر بذلك عن غاية الاذلال لان السمعة على الوجهين حتى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نهي عنه في الحيوانات ولعن قاعه فكيف على أكرم موضع منه وهو الانف لتقدمه وقد قيل الجمل في الانف وعليه قول بعض الأدباء وحسن القتي في الانف والانف عاطل ﴿ فكيف اذا ما الحال كان له حليبا

وجملوه مسكان العزة والحية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحى أنفه وفلان شامخ العرين وقالوا في الدليل جدد أنفه ورغم أنفه ومنه قول جرير

لما وضعت على الفرزدق ميسمي ﴿ وعلى البيت جدعت أنف الاخطل

وفي لفظ الخرطوم استهانة لانه لا يستعمل الا في الفيل والخزير ففي التعبير عن الانف بهذا الاسم ترشيع لمادل عليه الوسم على العضو المخصوص من الاذلال والمراد سنيته في الدنيا ونذله غاية الاذلال وكون الوعيد المذكور في الدنيا هو المروى عن قتادة وذهب اليه جمع الا انهم قالوا المعنى سنفعل به في الدنيا من الدم والملق والاشتهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى فيكون ذلك كالوسم على الانف ثابتا بيننا كما تقول سأطوقك طوق الحمامة أى أثبت لك الامر بيننا فيك وزاد ذلك حسنا ذكر الخرطوم انتهى وبينه وبين ما تقدم فرق لا يخفى وقال بعض هو في الآخرة ومن القائلين بأن هذا وعيد بما سيكون فيها من قبل هو تمذيب بنار على أنفه في جهنم وحكى ذلك عن المبرد وقال آخرون منهم يومم يوم القيامة على أنفه بسمه يعرف بها كفره وانحطاط قدره وقال أبو العالية ومقاتل واختاره الفراء المراد يسود وجهه يوم القيامة قبل دخول النار وذكر الخرطوم والمراد الوجه مجازا ومن القائلين بأنه يكون في الدنيا من قال هو وعيد بما أصابه يوم بدر فانه خطم فيه بالسيف فبقيت سمه على خرطومه وروى هذا عن ابن عباس والمعروف في كتب السير والاحاديث ان أبا جهل قتل يوم بدر والباقيين ماعدا الحكم ماتوا قبله فلم يسم أحد منهم بذلك الوسم وكذا الحكم لم يعلم انه وسم بذلك وان كان لم يمت قبل وعن النضر بن شميل أن الخرطوم الحمر وأنشد

تظل يومك في لحو وفي لعب ﴿ وأنت يالليل شراب الخراطيم

وان المعنى سنحده على شرها وتعقب بانه تنفيه الرواية بان أولئك الكفرة هلكوا قبل تحريم الخمر ماعدا الحكم وهو لم يثبت انه حده على انهم لم يكونوا ملتزمي الاحكام والدراية أيضا لتعميد اللفظ وفوات غفامة المعنى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ ﴾ أى أصبنا أهل مكة ببليية وهي القحط بدعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف ﴿ كَمَا بَلَوْنَا ﴾ أى تل ما بلونا فالكف في محل نصب صفة مصدر مقدر وما مصدرية وقيل بمعنى الذى أى كالبلاء الذى بلونا ﴿ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ المعروف خيرها عندهم كانت بأرض اليمن بالقرب منهم قريبا من صنعاء لرجل كان يؤدى حق الله تعالى منها فبات فصارت الى ولده فتمعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله تعالى منها فكان ما ذكره الله تعالى وكانت على ما أخرج ابن المنذر وغيره عن ابن جرير بأرض في اليمن يقال لها صوران بينها وبين صنعاء ستة أميال وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس هم ناس من الحبشة كانت لايبهم جنة وكان يطعم منها المساكين فبات بنوه ان كان أبونا لاحق حين يطعم المساكين فاقسموا على أن لا يطعموا منها مسكينا. وأخرج عبد بن حميد عن قتادة أنه قال كانت لشيخ من بني اسرائيل وكان يمسك قوت سنه ويتصدق بالفضل وكان بنوه ينهونه عن الصدقة فلما مات أقسموا على منع المساكين وفي رواية أنها كانت لرجل صالح على فرسخين من صنعاء وكان يترك المساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمها وقت الصباح

خفية عن المساكين كما قال عز وجل ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا ﴾ مغمول بلونا ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ ليقطن من ثمارها بعد استوائها ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ داخلين في الصباح وهذا حكاية لقسمهم لا على منطوقهم والا لقل لنصرمتها بنون التوكيد وكلا الأمرين جائز في مثله ﴿ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴾ قيل أى ولا يقولون ان شاء الله تعالى وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث أن مؤاده مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله تعالى ولا أخرج الا أن يشاء الله تعالى بمعنى واحد وقال الامام أصل الاستثناء من التثنية وهو الكف والرد وفي التثنية بالشرط رد لانقاذ ذلك اليه فاطلاقه عليه حقيقة وقيل أى ولا ياتون عما هموا به من منع المساكين والظاهر على التواين عطفه على أقسموا فقتضى الظاهر وما استنتوا وكأنه انما عدل عنه اليه استحضارا للصورة لما فيها من نوع غرابة لان اللائق في الحلف على ما يلزم منه ترك طاعة الاستثناء في الكشف هو حال أى غير مستثنين وفي المدول الى المضارع نوع تعبير وتنبه على مكان خطئهم وفيه زالى ما ذكرنا وقيل المعنى ولا يستنون حصاة المساكين كما كان يخرج أبوم وعليه هو مطوف على قوله تعالى ليصرمتها ومقسم عليه أو على قوله سبحانه مصبحين الحل وهو معنى لا غبار عليه ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا ﴾ أى أحاط نازلا على الجنة ﴿ طَائِفٌ ﴾ أى بلاه محيط فهو صفة لمحدوف وقول قتادة طائف أى عذاب بيان لحاصل المعنى ونحوه قول ابن عباس أى أمر وعن الفراء تخصيص الطائف بالامر الذى يأتى بالليل وكان ذلك على ما قال ابن جريج عنقا من نار خرج من وادى جنتهم وقيل الطائف هو جبريل عليه السلام اقتلعها وطاف بها حول البلد ثم وضعها قرب مكة حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت بالطائف وليس في أرض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والاعناب غيرها ولا يصح هذا عندى كقولك بأن الطائف المدينة المذكورة كانت بالشام فقلها الله تعالى الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه السلام وكذا القول بانها طافت على الماء في الطوفان ولو قيل كل ذلك على ظاهر حديث خرافة لا يعد حديث خرافة وقرأ النخعي طيف ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ مبتدئ من جهته عز وجل ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ في موضع الحال والمراد أنها ليلا كما روى عن قتادة وقيل المراد وهم غافلون غفلة تامة عما جرت به المقادير والاول أظهر من جهة السباق واللاحق ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ كالبيستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء ففعل بمعنى مفعول وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بهذا المعنى لغة خزيمه وعنه أيضا الصريم رملة باليمن معروفة لا تذب شيئا وقال مؤرج كالرملة انصرمت من معظم الرمل وهي لا تذب شيئا ينفع وقال منذر والفراء وجماعة الصريم الليل والمراد أصبحت محترقة تشبه الليل في السواد وقال الثوري كالصبح من حيث ابيضت كالزرع المحسود وقال بعضهم يسمى كل من الليل والنهار صريما لانصرام كل عن صاحبه وانقطاعه عنه ﴿ فَنَادَوْا ﴾ نادى بعضهم بعضا ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ لقسمهم السابق ﴿ أَنْ اغْدُوا ﴾ أى أى خرجوا على أن أن تفسيرية واغدوا بمعنى اخرجوا أو بان اغدوا على أن أن مصدرية وقبلها حرف جر مقدر وهي يجوز أن توصل بالامر على الاصح ﴿ عَلَيَّ حَرِّ نَارِكُمْ ﴾ أى يستأنكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَارِيهِنَّ ﴾ أى قاصدين للصرم وقطع الثمار فاغدوا وقيل يحتمل أن يكون المراد ان قسم أهل عزم واقدام على رأيكم من قولهم سيف صارم وليس بذلك وظاهر كلام جار الله ان غدا بمعنى بكر يتعدى بالى وعدى ههنا بلى لتضمين الغد ومعنى الاقبال كما في قولهم يفتدى عليه بالجفنة وراح أى قابلوا على حرثكم باكرين ويجوز أن يكون من غدا عليه اذا غار بان يكون قد شبه غنوم لقطع الثمار بقدو الجيش على شيء لان معنى الاستملاء والاستيلاء موجود فيه وهو الصرم والقطع

ويكون هناك استعارة بعية وجوز ان تعتبر الاستعارة تمثيلية وقال ابو حيان الذي في حفظي ان غدا يتمدى يطى كما في قوله

وقد غدو على ثبة كرام \* نشاوى واجدين لما نشاء

وكذا بكر مرادفه كما في قوله

بكرت عليهم غدوة فرأيتهم \* فعودا لديه بالصرير عواذله

(فانطلقوا وهم يتخافتون) أى يتشاورون فيما بينهم بطريق الخفاة وخفى بفتح الفاء وخفت وخفدت ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش والحفود للناقة التي تلتق ولدها قبل ان يستدين خلقه ( أن لا يدخلها اليوم ) أى الجنة (عليكم مسكين) ان مفسرة لما في التخافت من معنى القول او مصدرية والتقدير بان ويؤيد الاول قراءة عبد الله وابن ابي عمير باسقاطها وعليه قيل هو بتقدير القول وقيل العامل فيه يتخافتون اتضمنه معنى القول وهو المذهب الكوفي فيه وفي امثاله واما ما كان فالمراد بنهى المسكين عن الدخول المباعدة في النهى عن تمكينه منه كقولهم لا أرينك هنا (وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ) أى منع كما قال ابو عبيد وغيره من قولهم حاردت الابل اذا قلت ألبانها وحاردت السنة قل مطرها وخيرها والجار متعلق بقوله تعالى (قَادِرِينَ) قدم للحصر ورعاية الفواصل أى وغدوا قادرين على منع لا غير والمعنى انهم عزموا على منع المساكين وطلبوا حرمانهم ونكدهم وهم قادرين على نفهم فغدوا بحال لا يقدرين فيها الا على المنع والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتمجلوا الحرمان أو غدوا على محارمة جنتهم وذهاب خيرها بديل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا حاصلين على حرمان انفسهم مكان كونهم قادرين على الانتفاع والحصر على الاول حقيقى وعلى هذا اضافى بالنسبة الى انتفاعهم من جنتهم والحرمان عليه خاص بهم وجوز أن يكون على حرد متعلقا بغدوا والمراد بالحرد حرد الجنة حىء به مشاكلة للحرد كما أنه لما قالوا اغدوا على حردكم وقد خبث نيتهم عاقبهم الله تعالى بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرد وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام لانهم أى قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وقيل الحرد الحرد بفتح الراء وقد قرئ به وهو بمعنى التغيظ والغضب كما قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الاصمى وأشد

اذا حياذ الحيل جاءت تردى \* مملوءة من غضب وحرد

أى لم يقدروا الا على اغضاب بعضهم لبعض كقوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون وروى هذا عن سفيان والسدى والحصر حقيقى ادعائى أو اضافى وقيل بمعنى القصد والسرعة وأشد أقبل سيل جاء من أمر الله \* يحرد حرد الجنة المنقله

أى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وروى هذا عن ابن عباس فعلى حرد ظرف مستقر حال من ضمير غدوا وقادرين حال أيضا الا انها حال مقدرة على ما قيل وقيل حال حقيقية بناء على القيد بسند انفسهم وانما قيد به لان ثمار جنتهم هالكة فلا قدرة لهم على صرامها وقد فئت وقال الازهرى حرد اسم قريتهم وفي رواية عن السدى اسم جنتهم ولا أظن ذلك مرادا وقيل الحرد الانفراد يقال حرد عن قومه اذا تنحى عنهم وتزل منفردا وكوكب حرود معتزل عن الكواكب والمعنى وغدوا الى جنتهم منفردين عن المساكين ليس أحد منهم معهم قادرين على صرامها وهومن باب التهكم وقيل قادرين على هذا القول من التقدير بمعنى التضييق أى مضيقين على المساكين اذ حرموهم ما

كان أبوهم ينيلهم منها وهو حال مقدره ( فَلَمَّا رَأَوْهَا ) أول ما وقع نظرهم عليها ( قَالُوا إِنَّا أَضْأَلُونَ ) طريق جنتنا وما هي بها قاله قتادة وقيل لضالون عن الصواب في غدونا على نية منع المساكين وليس بذلك ( بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ ) قالوه بعدما تأملوا ووقفوا على حقيقة الأمر مضربين عن قولهم الأول أي لسنا ضالين بل نحن محرمون حرمانا خيرا بجنائتنا على أنفسنا ( قَالَ أَوْ سَطُّهُمْ ) أي أحسنهم وأرجحهم عقلا ورأيا أو أوسطهم سنا ( أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تَسْبِحُونَ ) أي لولا تذكرون الله تعالى وتوبون إليه من خبت نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله تعالى وتوبوا إليه عن هذه انية الحبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فميرهم ويدل على هذا المعنى قوله تعالى ( قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) لان التسبيح ذكر لله تعالى وانا كنا الخ ندامة واعتراف بالذنب فهو توبة والظاهر أنهم انما تكلموا بما كان يدعوهم إلى التكلم به على أثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله عز وجل لان الاستثناء تفويض إليه سبحانه والتسبيح تنزيه له تعالى وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم فكانه قيل الم اقل لكم لولا تستنون أي تقولون ان شاء الله تعالى وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي وابن المنذر عن ابن جريج وحكاة في البحر عن مجاهد وأبي صالح انهما قالا كان استنساؤهم في ذلك الزمان التسبيح كما نقول نحن ان شاء الله تعالى وجملة بعض الحنفية استثناء اليوم فعنده لوقال لزوجه أنت طالق سبحانه الله لا تطاق ونسب إلى الامام ابن الهمام وادعى أنه قاله في فتاويه ووجه بان المراد بسبحان الله فيها ذكر انزه الله عز وجل من أن يخلق البغيض إليه وهو الطلاق فانه قد ورد أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق وأنكر بعض المتأخرين نسبه إلى ذلك الامام المتقدم ونفي أن يكون له فتاوى واعتراض التوجيه المذكور بما اعترض وهو لعمرى أدنى من أن يعترض عليه وأنا أقول أولى منه قول النحاس في توجيهه جعل التسبيح موضع الاستثناء ان المعنى تنزيه الله تعالى أن يكون شيء الا بمشيئته وقد يقال لعل من قال ذلك بنى الأمر على صحة ما روى وان شرع من قبلنا شرع لنا اذا قصه الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا من غير تكبير وهذا على علانه أحسن مما قيل في توجيهه كما لا يخفى وقيل المعنى لولا تستغفرون ووجه التجوز يعلم مما تقدم ( فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ مَوَ ) يلوم بعضهم بعضا فان منهم على ما قيل من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره ولا يابى ذلك اسناد الافعال فيما سبق إلى جيمهم لما علم في غير موضع ( قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) متجاوزين حدود الله تعالى ( عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا ) أي يعطينا بدلا منها بركة التوبة والاعتراف بالخطيئة ( خَيْرًا مِنْهَا ) أي من تلك الجنة ( إِنَّا إِلَى رَبِّنَا ) لا إلى غيره سبحانه ( رَاغِبُونَ ) راجون العفو طالبون الخير وإلى لانهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع وعن مجاهد أنهم تابوا فابدلوا خيرا منها وروى أنهم تعاقدوا وقالوا أن أبدلنا الله تعالى خيرا منها لنمصنم كما صنع أبونا فدعوا الله عز وجل وتضرعوا إليه سبحانه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها وقال ابن مسعود بلغنى أن القوم دعوا الله تعالى وأخلصوا وعلم الله تعالى منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل على البغل منها عنقود وقال أبو خالد اليماني رأيت تلك الجنة وكل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وأستظير أبو حيان أنهم كانوا مؤمنين أصابوا معصية وتابوا وحكى عن بعض أنهم كانوا من أهل الكتاب وعن التسترى أن المعظم يقولون أنهم تابوا وأخلصوا وتوقف الحسن في إيمانهم فقال لا درى أكان قولهم انا إلى ربنا راغبون إيمانا أو على حد ما يكون من الشركين اذا أصابهم الشدة وسئل قتادة عنهم أم من

أهل الجنة أم من أهل النار فقال للسائل لقد كلمتني تشا وقرأ نافع وأبو عمرو ويبد لنا مشددا ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾ جملة من مبتدأ وخبر مقدم لإفادة القصر والاهتمام باللهدأى مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة من الجذب الشديد وأصحاب الجنة مما قص عذاب الدنيا والكلام قيل وارد تحذيرا لهم كأنه لما نهاه سبحانه عن طاعة الكفار وخاصة رؤسائهم ذكر عز وجل أن تمردهم لما أتوه من المال والذين وعقب جيل وعلا بأنهما إذا لم يشكرا المنعم عليهما يؤل حال صاحبهما إلى حال أصحاب الجنة مدجا فيه ان خبت النية والزوى عن المسكين إذا أفضى بهم إلى ما ذكر فعائدة الحق تعالى ببناء من هو على خلقه وأشرف الموجودات وقطع رحمة أولى بأن يفضى بأهل مكة إلى البوار وقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ الْآخِرَةُ أَيْضًا ﴾ أى أعظم وأشد تحذير عن العناد بوجه أبلغ وقوله سبحانه ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ نسي عليهم بالعقبة أى لو كانوا من أهل العلم لعلموا أنه أكبر ولا خدوا منه حذرهم ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أى من الكفر كما في البحر وأومنه ومن المعاصى كما في الارشاد ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أى في الآخرة فانها مختصة به عز وجل اذ لا يتصرف فيها غيره جل جلاله أو في جوار قدسه ﴿ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾ جنات ليس فيها الا النعيم الخالص عن شائبة ما ينقصه من الكدورات وخوف الزوال وأخذ الحصر من الاضافة إلى النعيم لافادتها التميز من جنات الدنيا والتعريض بان جنات الدنيا لغالب عليها النقص طبع على كدرو أنت تريدها \* صفوا من الاقدار والا كدار

وقوله تعالى ﴿ أفنجمل المسلمين كالجحيم ﴾ تقرير لما قبله من فوز المتقين ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله تعالى ان صح أنا نبعت كما يزعم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ماهي في الدنيا والالم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم ان يساوتنا والهمزة للانكار والفاء للعطف والمطف على مقدر يقتضيه المقال أى فيجيب في الحكم فيجعل المسلمين كالسكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ تعجبا من حكمهم واستبعادا له وايدانا بانه لا يصدر من عاقل اذ معنى مالكم أى شئ حصل لكم من خلل الفكر وفساد الرأى ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ ﴾ نازل من السماء ﴿ فِيهِ ﴾ أى في الكتاب والجار متعلق بقوله تعالى ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ أى تقرؤن فيه والجملة صفة كتاب وجوز أن يكون فيه متملقا بتملق الخبر أو هو الصفة والضمير للحكم أو الامر وتدرسون مستأنف أو حال من ضمير الخطاب وقوله تعالى ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴾ أى الذى تختارونه وتشتهونه يقال تخير الشئ واختاره أخذ خيره وشاع في أخذ ما يريد مطلقا مفعول تدرسون اذ هو المدروس فهو واقع موقع المفرد وأصله أن لكم فيه ما تخيرون بفتح همزة أن وترك اللام في خبرها فلما جىء باللام كسرت الهمزة وعلق الفعل عن العمل ومن هنا قيل انه لا بد من تضمين تدرسون معنى العلم ليجرى فيه العمل فى الجمل والتعليق وجوز أن يكون هذا حكاية للمدرّوس كما هو عليه فيكون بعينه لفظ الكتاب من غير تحويل من الفتح للكسر وضمير فيه على الاول للكتاب وأعيد للتأكيد وعلى هذا يعود لامرهم اول للحكم فيكون محصل ما خط في الكتاب أن الحكم أو الامر مفوض لهم فسقط قول صاحب التفسير ان لفظ فيه لا يساعده للاستثناء بفيه أولا من غير حاجة الى جعل ضمير فيه ليوم القيامة بقرينة المقام اول للمكان المدلول عليه بقوله تعالى عند ربهم وعلى الاستثناء هو للحكم أيضا وجوز الوقف على تدرسون على أن قوله تعالى ان لكم الخ استئناف على معنى ان كان لكم كتاب فلكم فيه ما تخيرون وهو كما ترى والظاهر ان أم نكم الخ مقابل لما قبله نظرا لحاصل المعنى اذ محصله أفصد عقلم حتى حكمتكم بهذا أم جاءكم كتاب

فيه تخييركم ونفويض الامر اليكم وقرأ طلحة والضحاك أن لكم بفتح الهمزة واللام في لما زائدة كقراءة من قرأ الا أنهم لياكلون الطعام بفتح همزة انهم وقرأ الاعرج أن لكم بالاستفهام على الاستئناف ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ أى أقسام وفسرت باليهود واطلاق الايمان عليهما من اطلاق الجزاء على الكل أو اللازم على الملزوم ﴿بِالْفِئَةِ﴾ أى أقصى ما يمكن والمراد متناهية في التوكيد وقرأ الحسن وزيد بن على بالغة بالنصب على الحال من الضمير المستتر في علينا أو لكم وقال ابن عطية من ايمان لتخصيصها بالوصف وفيه بعد ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ متعلق بالمقدر في لكم أى ثابتة لكم الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمتكم وأعطيناكم ما تحمكون أو متعلق بالفاصلة أى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم يبطل منها يمين فالى على الاول لغاية الثبوت المقدر في الطرف فهو كاجل الدين وعلى التالى لغاية البلوغ في قيد اليمين أى يميناً مؤكداً لا ينحل الى ذلك اليوم وليس من تأجيل المقسم عليه في شيء اذ لا مدخل للفاصلة في المقسم عليه فتأمل وقوله تعالى ﴿إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ جواب القسم لان معنى أم لكم ايمان علينا أم أقسمنا لكم وهو جار على تفسير الايمان بمعنى اليهود لان العهد كاليمين من غير فرق فيجاب بما يجاب به القسم وقرأ الاعرج أن لكم بالاستفهام أيضاً ﴿صَلُّوا﴾ تلويح للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب أى سلمهم بمبكتاهم ﴿أَيْهُمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم الخارجى عن دائرة العقول ﴿زَعِيمٌ﴾ قائم يتصدى لتصحيحه والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثانى لسل والفعل عند أبى حيان وجماعة معلق عنها لكان الاستفهام وكون السؤال منزلاً منزلة العلم لكونه سبباً لحصوله ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ يشاركونهم في هذا القول ويندبون مذهبهم ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دعواهم اذ لا أقل من التقليد وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتعلقوا به في تحقيق دعواهم حيث نبه جل شأنه على نفي الدليل العقلى بقوله تعالى مالكم كيف تحكمون وعلى نفي الدليل النقلى بقوله سبحانه أم لكم كتاب الخ وعلى نفي ان يكون الله تعالى وعدمه بذلك ووعد الكريم دين بقوله سبحانه أم لكم ايمان علينا الخ وعلى نفي التقليد الذى هو أوهم من حبال القمر بقوله عز وجل أم لهم شركاء وقيل المعنى أم لهم آله عدوها شركاء في الاوهية تجعلهم كالمسلمين في الآخرة وقرأ عبد الله وابن أبى عبيدة فليأتوا بشركهم والمراد به ما أريد بشركائهم ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ متعلق بقوله تعالى فليأتوا على الوجوه ويجوز تعلقه بمقدر كاذر أو يكون كيت وكيت وقيل بخاشمة وقيل برهقهم وأياما كان فالمراد بذلك اليوم عند الجمهور ويوم القيامة والساق ما فوق القدم وكشفها والتشمير عنها مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب حتى انه يستعمل بحيث لا يتصور ساق بوجه كما في قول حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ✽ وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقول الراجز عجيت من نفسى ومن اشفاقها ✽ ومن طواه الحيل عن أرزاقها

في سنة قد كشفت عن ساقها ✽ حمراء تبرى اللحم عن عراقها

وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الحرب فانهن لا يفعلن ذلك الا اذا عظم الخطب واشتد الامر فيذهلن عن الستر بذيل الصيانة والى نحو هذا ذهب مجاهد وابراهيم النخعي وعكرمة وجماعة وقد روى أيضاً عن ابن عباس أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى في الاسماء والصفات من طريق عكرمة عنه أنه سئل عن ذلك فقال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في

الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

صبرا عناق أنه شر باق \* قد سن لي قومك ضرب الاعناق \* وقامت الحرب بنا على ساق

والروايات عنه رضى الله تعالى عنه بهذا المعنى كثيرة وقيل ساق الشيء أصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان والمراد يوم يكشف عن أصل الامر فتظهر حقائق الامور وأصولها بحيث تصير عيانا واليه يشير كلام الربيع بن أنس فقد أخرج عبد بن حميد عنه انه قال في ذلك يوم يكشف القطا وكذا ما أخرجه البيهقي على ابن عباس أيضا قال حين يكشف الامر وتبدوا الاعمال وفي الساق على هذا المعنى استعارة نصريجة وفي الكشف تجوز آخر أو هو ترشيح للاستعارة باق على حقيقته وتكثير ساق قيل للتحويل على الاول وللتعظيم على الثانى وقيل لا ينظر الى شيء منهما على الاول لان الكلام عليه تمثيل وهو لا ينظر فيه للمفردات أصلا وذهب بعضهم الى أن المراد بالساق ساقه سبحانه وتعالى وان الآية من التشابه واستدل على ذلك بما أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن المنذر وابن مردويه عن أبى سعيد قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسومة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا وانكر ذلك سعيد بن جبير أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عنه انه سئل عن الآية فغضب غضبا شديدا وقال ان اقواما يزعمون ان الله سبحانه يكشف عن ساقه وانها يكشف عن الامر الشديد وعليه يحمل ما في الحديث على الامر الشديد ايضا و اضافته اليه عز وجل لتحويل امره وانه امر لا يقدر عليه سواء عز وجل وارباب الباطن من الصوفية يقولون بالظاهر ويدعون ان ذلك عند التجلي الصورى وعليه حملوا أيضا ما أخرجه اسحق بن راهويه في مسنده والطبرانى والدارقطنى في الرؤية والحام وصححه وابن مردويه وغيرهم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة وينزل الله في ظلك من الغمام فينادى مناد يا أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذى خلقكم وصوركم ورزقكم أن يولى كل انسان منكم ما كان يعبد في الدنيا ويتولى أليس ذلك عدلا من ربكم قالوا بلى قال فلينطلق كل انسان منكم الى ما كان يتولى في الدنيا ويتمثل لهم ما كانوا يعبدون في الدنيا ويمثل لمن كان يعبد عيسى عليه السلام شيطان عيسى وكذا يمثل لمن كان يعبد عزىرا حتى تمثل لهم الشجرة والعود والحجر ويبقى أهل الاسلام جنوما فيتمثل لهم الرب عز وجل فيقال لهم مالكم لم تنطلقوا كما انطلق الناس فيقولون ان لنا ربا مارأينا بعد فيقول فبم تعرفون ربكم ان رأيتموه قالوا بئنا وبينه علامة ان رأينا عرفناه قال وما هي قالوا يكشف عن ساق فيكشف عند ذلك الحديث وهو ونظائره من التشابه عند السلف وقرأ ابن مسعود وابن أبى عمير يكشف بفتح الياء مبني الفاعل وهي رواية عن ابن عباس وقرأ ابن هرمز يكشف بانثون وقرئ يكشف بالياء التحتية مضمومة وكسر الشين من أ كشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف انقلبت شفته العليا وقرئ تكشف بالياء الفوقية والبناء للفاعل وهو ضمير الساعة المملومة من ذكر يوم القيامة أو الحال المملومة من دلالة الحال وبها والبناء للمفعول وجعل الضمير للساعة أو الحال أيضا وتعقب بأنه يكون الاصل حينئذ يكشف الله الساعة عن ساقها مثلا ولو قيل ذلك لم يستقم لاستدعائه ابداء الساق وازهاب الساعة كما تقول كشفت عن وجهها القناع والساعة ليست سترا على الساق حتى تكشف وأجيب انها جملة سترها مبالغة لان المخدرة تبالغ في الستر جهدها فكأنها نفس الستر فقيل تكشف الساعة وهذا كما تقول كشفت زيدا عن جهله اذا بالقت في اظهار جهله لانه كان ستره على جهله يستر معايبه فابتنه وأظهرته اظهارا لم يخف على أحد وقيل عليه ان الازهاب حينئذ ادعائى

ولا يخفى ما فيه من التكلف ولا عبرة بما ذكر من المثال المصنوع وأقل تكلفا منه جعل عن ساق بدل اشتغال من الضمير المستتر في الفعل بعد نزع الحافض منه والاصل يكشف عنها أى عن الساعة أو الحال فنزع الحافض واستر الضمير وتعقب بأن ابدال الجار والمجرور من الضمير المرفوع لا يصح بحسب قواعد العربية فهو ضفت على ابالة وتكلف على تكلف وقيل ان عن ساق نائب الفاعل وتعقب بأن حق الفعل التذكير كصرف عن هند ومر بعدد **( وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ )** توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا لهم على نفرطهم في ذلك **( فَلَا يَسْتَطِيعُونَ )** لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدونه فلا يتأنى منهم وعن ابن مسعود تعقم أصلهم أى ترد عظاما بلا مفاصل لانثنى عند الرفع والحفض وتقدم في حديث البخارى ومن معه ماسمعت وفي حديث نصير أصلاب المتأففين والكفار كصياصى البقر عظما واحدا والظاهر ان الداعى الله تعالى أو الملك وقيل هو ما يرونه من سجود المؤمنين واستدل أبو مسلم بهذه الآية على ان يوم الكشف في الدنيا قال لانه تعالى قال ويدعون الى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد ولا تكليف فيراد منه اما آخر أيام الشخص في دنياه حين يرى الملائكة واما وقت المرض والهرم والمجزأة ويدفع بما أشرنا اليه **( خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ )** حال من مرفوع يدعون على ان أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور أثره فيها **( تَرَهْتُمْ )** تلحقهم وتعشام **( ذِلَّةٌ )** شديدة **( وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ )** في الدنيا والاضهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير أو لان المراد به الصلوات المكتوبة كما قال النخعي والشعبي أو جميع الطاعات كما قيل والدعوة دعوة التكليف وقال ابن عباس وابن جبير كانوا يسمعون الاذان والتداء للصلاة فلا يجيبون **( وَهُمْ سَائِمُونَ )** متمكنون منه أقوى تمكن أى فلا يجيبون اليه ويأبونه وترك ذكر هذا ثقة بظهوره **( قَدَرْنِي وَمَنْ يُكَدِّبُ بِهِدَا الْحَدِيثِ )** أى اذا كان حالهم ما سمعت فكل من يكذب بالقرآن الى واستكفنيه فان في ما يفرغ بالك ويخلى همك وهو من بليغ الكلام يفيد ان المنكلم واثق بأنه يتمن من الوفاء باقصى ما يدور حول أمانة المخاطب وبما يزيد عليه وقد حققه جار الله بما حاصله ان من استكفى أحدا ترك الامر اليه والا كان استعانة لا استكفاء فاقم الرادف أعنى التخلية وان يذره وياه مقام الاستكفاء بمبالغة وانباء عن الكفاية البالغة كيف وهذا الكفى طلب الاستكفاء بقوله ذرنى وأبرز ترك الاستكفاء في صورة المنع بمبالغة على فلولم يكن شديد الوثوق بتمكته من الوفاء أقصى التمكن وفوق ما يحوم حول خاطر المستكفى لسا كان للطلب على هذا الوجه الابليغ وجه ومن في موضع نصب اما عطفًا على المنصوب في ذرنى أو على انه مفعول معه وقوله تعالى **( سَدَسْتُدْرَجُهُمْ )** استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الكلام السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها أى سنستزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة **( مِنْ حَيْثُ لَا يَمْلِكُونَ )** انه استدراج بل يزعمون ان ذلك ايثار لهم وتفضل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم **( وَأَمَلِي لَهُمْ )** وأمهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير **( إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ )** لا يدفع بشئ وتسمية ذلك كيدا وهو ضرب من الاحتيال لكونه في صورته حيث انه سبحانه يفعل معهم ما هو نفع لهم ظاهرا ومرآده عز وجل به الضرر لما علم من خبت جياتهم وتماديهم في الكفر والكفران **( أَمْ تَسْأَلُهُمْ )** على الابلاغ والارشاد **( أَجْرًا )** دنويًا **( فَمَهُمْ )** لاجل ذلك **( مِنْ مَفْرَمٍ )** أى غرامة مالية **( مَقْتَلُونَ )** مكلفون حملات ثقيلًا فيعرضون عنك وهذه الجملة على ما قاله

ابن الشيخ معطوفة على قوله تعالى أم لهم شركاء ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أى الغيبات أو للوح وأطلق الغيب عليه مجازا لانه محل لكتابة المقيبات أو لظهور صورها بناء على الخلاف المعروف فيه والقرينة ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ما يحكمون به ويستنون بذلك عن علمك ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أن يدعو على ثقيف لما آذوه حين عرض عليه الصلاة والسلام نفسه على القبائل بمكة فنزلت وقيل أراد عليه الصلاة والسلام أن يدعو على الدين انهمزوا باحد حين اشدت بالمسلمين الامر فنزلت وعليه تكون الآية مدينة ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام كما انه المراد من ذى النون الا انه فرق بين ذى وصاحب بان ابلغ من صاحب قال ابن حجر لاقتضائها تعظيم المضاف اليها والموصوف بها بخلافه ومن ثم قال سبحانه في مرض مدح يونس عليه السلام وذالون والنهى عن اتباعه ولا تكن كصاحب الحوت اذ النون لكونه جعل فاتحة سورة اختم وأشرف من لفظ الحوت ونقل مثل ذلك السرميني عن العلامة السهرلي وفرق بعضهم بغير ذلك بما هو مذكور في حواشينا على رسالة ابن عصام في علم البيان ﴿إِذْ نَادَى﴾ فى بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أى مملوء غيظا على قومه اذ لم يؤمنوا ما دعاهم الى الايمان وهو من كظم السقاء اذا ملاه ومن استماله بهذا المعنى قول ذى الرمة

وأنت من حب مى مضمحل حزنا عانى الفؤاد قريح القلب مكظوم

والجملة حال من ضمير نادى وعابها يدور النهى لاعلى النداء فانه أمر مستحسن ولذا لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف أى لا يكن حاله كحال وقت نداءه أى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والغاضبة فتبتلى بنحو بلائه عليه السلام ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وقرى رحمة وتذكير الفعل على القراءتين لان الفاعل مؤنث مجازى مع الفصل بالضمير وقرأ عبدالله وابن عباس تداركته بتاء التانيث وقرأ ابن هرمز والحسن والاعمش تداركته بتشديد الدال وأصله تدارك فابدل التامدالا وأدغمت الدال في الدال والمراد حكاية احوال الماضية على معنى لولا ان كان يقال فيه تدارك ﴿لَتُنَبِّذَ بِالْعَرَاءِ﴾ بالارض الخالية من الاشجار أى في الدنيا وقيل بعراء القيامة لقوله تعالى فلولا أنه كان من المبشرين لبث في بطنه الى يوم يبعثون ولا يخفى بعده ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ في موضع الحال من مرفوع نبذ وعليها يستمد جواب لولا لان المقصود امتناع نبذه مذموم والافقد حصل النبذ فدل على أن حاله كانت على خلاف الذم والقرض ان حالة النبذ والانتباه كانت مخالفة لحالة الالامة والابتداء لقوله سبحانه فالتقمه الحوت وهو ملهم وفي الارشاد ان الجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهى عنه أمرا محذورا مستتبعا للفاصلة وقوله سبحانه ﴿فَاجْتَبَيْهِ رَبُّهُ﴾ عطف على مقدر أى فتداركته نعمة من ربه فاجتباها أى اصطفاه بان رد عز وجل اليه الوحي وأرسله الى مائة الف أو يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة وإنما كان رسولا لبعض المرسلين في أرض الشام ﴿فَجَمَّلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ من الكاملين في الصلاح بان عصمه سبحانه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى وظاهر كلام بعضهم ان الجملة من الصالحين تفسير للاجتناب قيل وفسر الصالحين بالانبياء وهو مبنى على انه لم يكن قبل الواقعة نبيا واستدل بالآية على خاق الافعال لان جملة صالحا بجمل صلاحه وخلقه فيه وهو من جملة الافعال ولا قائل بالفرق والمتزلة يؤولون ذلك تارة بالاختصار بصلاحه وأخرى باللطف به حتى صالح على انه يحتمل ان يراد بالصالحين الانبياء كما قيل فلا تنقيد الآية أكثر من كون النبوة محمولة وهو مما اتفق

عليه الفريقان فتدبر ﴿وَأَنْ يَكَادُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ إن هي الخففة واللام دليلها لأنها لا تدخل بعد النافية ولذا تسمى الفارقة على عرف عند النحاة وأنعمي أنهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعني او يكاد يأكلني أى لو امكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله وجعل مبالغة في عداوتهم حتى كأنها سرت من القلب والجوارح الى النظر فعاد يعمل عمل الجوارح وأنشدوا قول الشاعر

يتقارضون اذا التقوا في موطن \* نظرا يزل مواطئ الأقدام

او أنهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان في بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث يومين او ثلاثة لا يأكل ثم يرفع جانب خبائه فيقول لم ار كالיום ابلا ولا غنما احسن من هذه فتسقط طائفة منها وتهلك فاقترح الكفار منه ان يصيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجابهم وانشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا \* واخال انك سيد معيون

فعمم الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وانزل عليه هذه الآية وقد قيل ان قراءتها تدفع ضرر العين وروى ذلك عن الحسن وفي كتاب الاحكام انها اصل في ان العين حق والاولى الاستدلال على ذلك بما ورد وصح من عدة طرق ان العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وبها اخرج احمد بسند رجاله كما قال الهيثمي ثقات عن ابي ذر مرفوعا ان العين لتولع بالرجل باذن الله تعالى حتى يصعد حالقا ثم يردى منه الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة وذلك من خصائص بعض النفوس ولله تعالى ان يخص ماشاء منها بما شاء و اضافته الى العين باعتبار ان النفس تؤثر بواسطتها غالبا وقد يكون التأثير بلا واسطتها بان يوصف للعائن شيء فتوجه اليه نفسه فتفسده ومن قال ان الله تعالى أجرى العادة بخناق ماشاء عند مقابلة عين العائن من غير تأثير أصلا فقد سد على نفسه باب العلل والتاثيرات والاسباب والمسببات وخالف جميع العقلاء قاله ابن القيم وقال بعض أصحاب الطبائع انه ينبعث من العين قوة سمية تؤثر فيما نظره كما فصل في شرح مسلم وهذا لا يتم عندي فيما لم يره ولا في نحو ما تضمنه حديث ابي ذر المتقدم آنفا ولا في اصابة الانسان عين نفسه كما حكاه المناوي فانه لا يقتل الصل سمه ومن ذلك ما حكاه النسائي قال نظر سليمان بن عبد الملك في المرأة فاعجبته نفسه فقال كان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا وكان أبو بكر صديقا وكان عمر فاروقا وعثمان حيا و معاوية حليما وزيد صبوراً وعبد الملك سائسا والوليد جبارا وأنا الملك الشاب وأنا الملك الشاب فا دار عليه الشهر حتى مات ومثل ذلك ما قيل انه من باب التأثير في القوة المعروفة اليوم بالقوة الكهربائية عند الطباعيين المحدثين فقد صح ان بعض الناس يكرر النظر الى بعض الاشخاص من فوقة الى قدمه فيصرعه كالمغشى عليه وربما يقف وراه جاعلا اصابعه حذاء نقرة رأسه ويوجه نفسه اليه حتى تضعف قواه فيغشاه نحو النوم ويتكلم اذ ذلك بما لا يتكلم به في وقت آخر وأنا لأزيد على القول بانه من تاثيرات النفوس ولا أكيف ذلك فالنفس الانسانية من أعجب مخلوقات الله عز وجل وكم طوى فيه اسرار وعجائب تتحير فيها العقول ولا ينكرها الا مجنون أو جهول ولا يسغى ان انكر العين لكثرة الاحاديث الواردة فيها ومشاهدة آثارها على اختلاف الاعصار ولا أخص ذلك بالنفوس الخبيثة كما قيل فقد يكون من النفوس الزكية والمشهور ان الاصابة لا تكون مع كراهة الشيء وبفضه وانما تكون مع استحسانه والى ذلك ذهب القشيري وكأنه يشير بذلك الى الطعن في صحة الرواية ههنا لان الكفار كانوا يفضونه عليه الصلاة والسلام فلا تتأني لهم أصابته بالعين وفيه

نظر وحكم العائن على ما قال القاضي عياض أن يجنب وينبى للاملام حبسه ومنه عن مخالطة الناس كما لضرره ما أمكن ويرزقه حينئذ من بيت المال هذا وقرأ نافع ليزلقونك بفتح اليا من زلقه بمعنى أزلقه وقرأ عبد الله وابن عباس والاعمش وعيسى ليزهقونك بالهاء بدل اللام أى ليهلكونك ﴿لَمَّا سَمِعُوا اللَّهَ ذَكَرَ﴾ أى وقت سماعهم القرآن وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ولما كما أشرنا اليه ظرفية متعلقة بيزلقونك ومن قال انها حرف وجوب لوجوب ذهب الى أن جوابها محذوف لدلالة ما قبل عليه أى لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لغاية حيرتهم في أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من عجائب الحكم وبدائع العلوم ولتنفير الناس عنه ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ وحيث كان مدار حكمهم الباطل ماسمعا منه صلى الله تعالى عليه وسلم رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ على انه حال من فاعل يقولون والرابط الواو فقط أو مع عموم العالمين كما قيل مفيد لغاية بطلان قولهم وتعجيب للسامعين من جرأتهم على التفوه بتلك العظيمة أى يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين أى تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خرا بما قالوه وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وعموم العالمين لما فيه من الاعتناء بها يفهم وقيل الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه ورجح بان الجملة عليه تكون صريحة في رد دعواهم الباطلة وانت تعلم ان الاول اولى والله تعالى اعلم

### ( سورة الحاقه )

مكية وآياتها احدى وخمسون آية بالاخلاف فيها ما يدل للاول ما أخرج الامام احمد عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال خرجت اتعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فوقف خلفه فاستفتح سورة الحاقه فجعلت اعجب من تأليف القرآن هذا والله شاعر فقال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قلت كاهن فقال لا ولا يقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزل الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع ولما وقع في نون ذكر يوم القيامة مجمل شرح سبحانه في هذه السورة الكريمة نبأ ذلك اليوم وشأنه العظيم وضمنه عز وجل ذكر أحوال أمم كذبوا الرسل عليهم السلام وما جرى عليهم ليزدجر المكذبون المعاصرون له عليه الصلاة والسلام فقال عز من قائل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَاقَّةُ﴾ أى الساعة أو الحاقه التى يحق ويجب وقوعها أو التى تحقق وتثبت فيها الامور الحقه من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحقق فيها الامور أى تعرف على الحقيقه من حقه يحقه اذا عرف حقيقته وروى هذا عن ابن عباس وغيره واسناد الفعل لها على وجهين الاخيرين مجاز وهو حقيقه لما فيها من الامور أو لمن فيها من اولى العلم وفي الكشف كون الاسناد مجازيا انما هو على الوجه الاخير وأما على الوجه الثانى فيحتمل الاسناد المجازى ايضا لان الثبوت والوجوب لما فيها ويحتمل ان يراد ذوالحاقه من باب تسمية الشئ باسم ما يلبسه وهذا أرجح لان الساعة وما فيها سواء في وجوب الثبوت فيضعف قرينه الاسناد المجازى والتجوز فيه تصوير ومبالغة انتهى وبحث فيه الجلبى بما فيه بحث فارجع اليه وتندبر وقال الازهرى الحاقه القيامة من حاقته لحقيقته أى غالبته فغلبته فهى حاقه لانها تحقق كل محاق في دين الله تعالى بالباطل أى كل مخاصم فتغلبه وظاهر كلامهم انها على جميع ذلك وصف حذف موصوفه للايدان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانه مجرى الاسم وقيل انها على ما روى عن